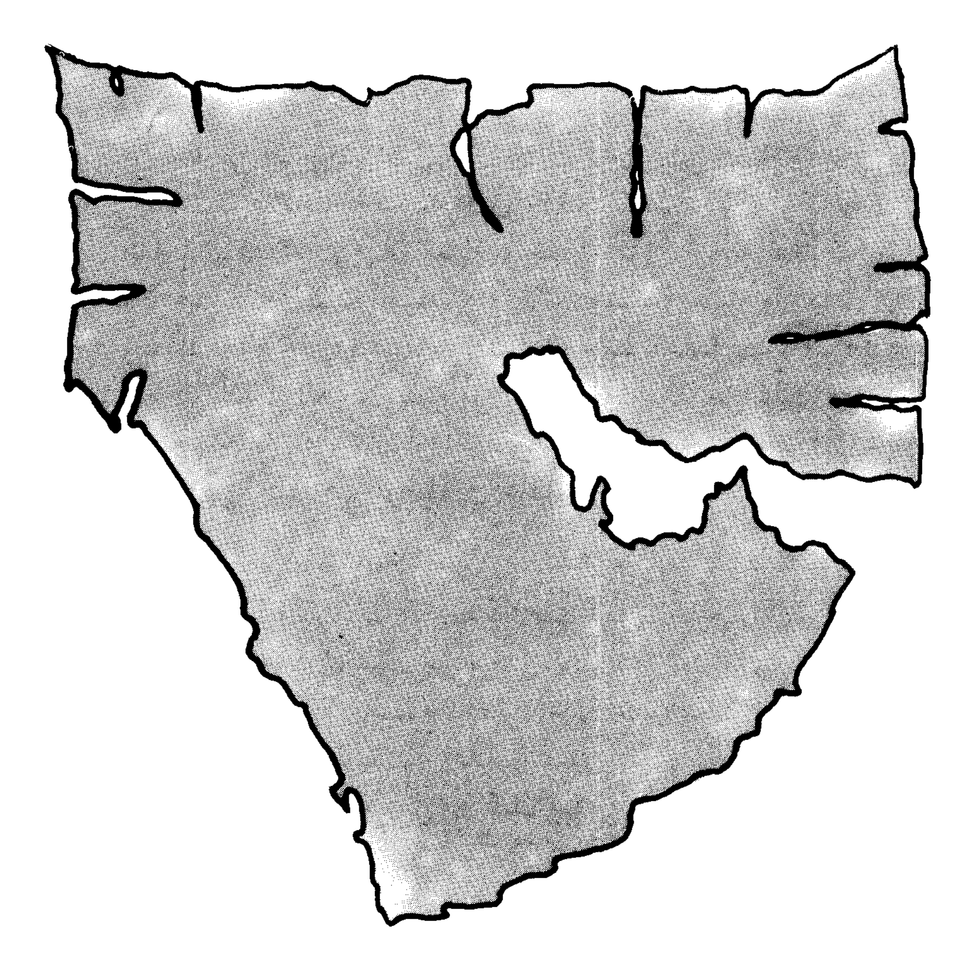


مكانة السلطان أجود بن زامل الجبري في الجزيرة العربية

بقلم الدكتور عبد اللطيف ناصر الحميدان

لعله من البديهيات القول، بأن هنالك ترابطا وثيق الصلة ما بين اتجاهات العلاقات الخارجية لأي كيان سياسي وبين أوضاعه الداخلية، اذ هما وجهان لعملة واحدة. فتنوع أوجه العلاقات الخارجية لهذا الكيان السياسي أو ذاك، وتشعبها سلبا أو ايجابا، وامتداد مجاله الحيوي ضيقا أو اتساعا، مرتبط أساسا بنوع البناء الداخلي لذلك الكيان وبقوته أو ضعفه، وما يتولد عن ذلك من دوافع واتجاهات في مجال أو أكثر. وهذه الحقيقة كانت موجودة في عالم الماضي مثلما هي موجودة في عالمنا اليوم.

ومن هنا كانت الدراسات التاريخية لعلاقات الدول الخارجية تتسم بأهمية خاصة، اذ أنها تفيد في الكشف عن أوجه وحقائق كثيرة تمت بأوثق الصلة الى الأوضاع الداخلية، مما لا نستطيع الحصول عليها عندما تكون الدراسة ذاتا واحداً، وبذلك نكون أقرب الى اعطاء التفسير السليم لكثير من الوقائع والأحداث، اضافة الى التقويم لثقل أي كيان سياسي في أي مجال من المجالات السياسية منها أو الاقتصادية أو الاستراتيجية أو الحضارية.

لقد عرف منذ القدم، عن سكان جزيرة العرب، خصوصا سكان سواحلها الشرقية والجنوبية، سعة صلاتهم بعالم المحيط الهندي وتنوعها، وبأن هذه الصلات أخذت بالازدياد والاتساع والترابط منذ ظهور الاسلام، بحيث أنها قد تركت بصماتها واضحة جلية على نواح عدة من حياة مختلف شعوب المحيط الهندي والبحار المتصلة به، أضحى ما يحدث في جهة من جهاته ينعكس أثره السلبي أو الايجابي بدرجة ما على بقية جهاته.

ومن هنا كان التحري عن مصادر هذه العلاقات والروابط، وتوسيع دائرة البحث عنها، ثم الدراسة النقدية المقارنة لها، مما يساعد، بدون شك، على ازاحة ستار الغموض عن بعض الجوانب التي لاتزال مجهولة من تاريخ الجزيرة العربية، ويقربنا أكثر من التعرف على السمات العامة لذلك التاريخ(١).

– ١ –

ان معلوماتنا التاريخية – على سبيل المثال لا الحصر – عن الصلات الخارجية لشرقي الجزيرة العربية ووسطها خلال العصر الاسلامي الوسيط، هي في الغالب متواضعة جدا وغامضة، لذا فأي كشف بهذا الخصوص، مهما صغر في حجمه، لابد أن يلقى الاهتمام والترحيب من المعنيين بتاريخ الجزيرة العربية.

وبين أيدينا وثيقة، تستحق الدراسة والتعليق، وهي عبارة عن رسالة موجهة الى الشيخ أجود بن زامل بن حسين بن ناصر بن جبر العامري العقيلي (٨٢١ /١٤١٨ – ؟ ٩٠ /؟ ١٤٩)[٢] والذي كان أكثر سلاطين امارة الجبور في نجد وشرقي شبه الجزيرة العربية شهرة[٣]. ومصدر هذه الرسالة هو الوزير عماد الدين محمود بن أحمد القاواني الجيلاني الشهير بخواجه جهان (٧٤٨ /١٣٤٧ – ٩٣٣ /٨٨٦ /١٤٨١)، الذي يعتبر أشهر رجال السلطنة البهمنية (٧٤٨ /١٣٤٧ – ٩٣٣ /١٥٢٧) في الهند[٤].

ومن المفيد في بحثنا هذا التعرف بايجاز على شخصية كل من: مرسل الرسالة والمرسلة اليه.

فمحمود بن أحمد القاواني أصله من اقليم جيلان المطل على بحر قزوين، اذ ولد في قاوان عام ٨٠٨ (١٤٠٥)، من أسرة متميزة وعلى صلة وثيقة بحكام امارة جيلان. تلقى محمود القاواني تعليما جيدا في صغره، ثم حج في مقتبل شبابه وأقام في مكة فترة من الزمن، لم يعد بعدها الى ايران بل انصرف الى التجارة في الخليج العربي، وفي عام ٨٥٩ /١٤٥٥ أبحر الى الهند، واتصل بأحمد شاه الثاني (٨٣٨ /١٤٣٥ – ٨٦٢ /١٤٥٧) سلطان البهمنيين في الدكن الذي قربه وأدناه وضمه الى كبار رجال دولته، بعد نجاحه في مهمة عسكرية كلف بها. وقد ازدادت مكانة محمود القاواني أهمية في عهد همايون شاه بن أحمد شاه (٨٦٢ /١٤٥٧ – ٨٦٥ /١٤٦١) الذي جعله وزيره الأول ومنحه لقب «ملك

التجار»، ثم انه في خلال الفترة التي امتدت منذ وفاة همايون شاه حتى مقتل القاواني (٨٨٦ /١٤٨١)، كان الوزير محمود هو رجل السلطنة البهمنية الأول الذي يوجه دفة السياستين الداخلية والخارجية. وحاز خلالها لقبا رسميا هو «خواجه جهان» لكن شهرته في الهند بـ «قاوان» أو «قاواني»، نسبة الى مسقط رأسه، ظلت هي السائدة.

لقد استطاع خواجه جهان بانجازاته ونشاطه خلال تلك الفترة، أن يحقق نجاحات هامة في الميدان السياسي والعسكري والاداري والتجاري، أدت الى أن تتبوأ السلطنة البهمنية مركزا هاما في شبه القارة الهندية، واحتل هو بذلك منزلة بارزة بين الشخصيات الهامة في تاريخ الهند(٥).

ان الجانب الذي يجدر بنا الانتباه اليه هو أن علاقات السلطنة البهمنية التجارية والسياسية بكل من حكام مناطق ايران والخليج العربي والحجاز ومصر والدولة العثمانية كانت وثيقة ونشطة، خلال الفترة التي كان فيها القاواني صاحب الكلمة النافذة في توجيه السياسة العامة للبهمنيين.

ومما يسند ما ذهبنا اليه هو الدراسة التي نشرها جان أوبان عن علاقات دولة اق قوينلو في ايران مع البهمنيين(٦)، وكذلك سجلات قاضي مدينة بورصة العثمانية(٧) اضافة الى رسائل خواجه جهان نفسه الى حكام ورجال الدولة في المناطق المشار اليها آنفا(٨). بل ان القاواني نفسه كان له تجارة خاصة به، يزاولها من خلال وكلائه في جزيرة العرب والدولة العثمانية(٩). الأمر الذي يحملنا على القول بأن قوة العلاقات مابين البهمنيين والمناطق المشار اليها فيما سبق يمكن أن تعزى بشكل أساسي، توجيها وتنفيذا الى هذا الوزير.

ولقد احتل خواجه جهان منزلة واحتراما كبيرين في نفوس حكام المناطق المشار اليها، حتى أن السلطان محمد شاه الثالث (٨٦٧ /١٤٦٣ - ٨٨٧ /١٤٨٢) عندما قتل الرجل الأول في دولته خواجه جهان، وصادر أمواله، سارع الى ارسال الرسائل الى معظم حكام هذه المناطق يبرر فيها اقدامه على

فعلته هذه[١٠]. كما أن المؤرخ المكي ابن فهد (ت ٩٢٢)، قد ذكر بأنه بعد وصول خبر مقتل خواجه جهان الى مكة قرىء القرآن على روحه في المسجد الحرام، وحضر شريف مكة محمد بن بركات بنفسه يوم الختم[١١].

— ٢ —

لقد قام عبد الكريم بن محمد النيمدهي، كاتب الوزير خواجه جهان، بجمع عدد من الرسائل التي كان يبعث بها الوزير المذكور، وضمنها كتابه المسمى «كنز المعاني من الانشاء». ويبدو أن معظم هذه الرسائل كان قد كتبها النيمدهي بخط يده، خلال فترة خدمته لخواجه جهان التي امتدت ثماني سنوات، من ٨٧٨ (١٤٧٣) حتى مقتل الأخير سنة ٨٨٦ (١٤٨١). ومن وفائه لسيده القتيل، أن ضمن بعضا من رسائله المشار اليه، وكان غالبا ما ينعته فيه بالشهيد»[١٢].

على أن معظم هذه الرسائل التي تضمنها المخطوط قد كتبت باللغة الفارسية ماعدا خمس منها قد كتبت بالعربية، اثنتان للمولي محسن بن محمد المهدي (ت ٩٠٥ / ١٥٠٠) سلطان امارة المشعشعين في عربستان وجنوب العراق، ورسالة واحدة لكل من شريف مكة وسلطان المماليك والسلطان أجود بن زامل الجبري.

والواقع فان الرسائل المتبادلة ما بين الوزير محمود القاواني وحكام ايران ومنطقة الخليج العربي والحجاز ومصر، بالاضافة الى أنها تؤكد عمق العلاقات التي أشرنا اليها آنفا، فانها تصلح أساسا لأن تكون من المصادر الرئيسية التي يرجع اليها في دراسة تفصيلية لهذه العلاقة وتقويمها.

والذي يعنينا في بحثنا هذا هو الرسالة المرسلة الى السلطان أجود، اذ أن تحليل ماتضمنته من معلومات وتعابير – على قلتها – ربما تفيدنا في اكتشاف حقائق تاريخية جديدة عن سلطنة الجبور، تدعم معلوماتنا عن الثقل السياسي لهذه السلطنة في منطقة الخليج العربي خاصة والجزيرة العربية عامة. وتكتسب

هذه الرسالة أهميتها أيضا من كونها ليست رسالة شخصية بحتة، وانما هي ذات صفات رسمية.

والذي يجدر التنويه به هنا، هو أن سلطنة الجبور قد بلغت أوج شهرتها وسطوتها في عهد سلطانها الشيخ أجود بن زامل، الذي تولى السلطة في كل من القطيف والأحساء وبعض مناطق نجد قبل عام ٨٧٤ (١٤٧٠) بقليل[١٣]. لقد استطاع هذا الشيخ بحيويته وصلابته وعزيمته الملفتة للأنظار، أن يحسن استثمار الأوضاع السياسية المحيطة بسلطنته من أجل توسيع حدوده وزيادة موارده. فقد تدخل في الصراع السياسي الدائر في عمان، وفي مملكة هرموز، التي تمتد أراضيها على جانبي الخليج العربي، ليخرج من ذلك بمكاسب كبيرة، نتج عنها ارتفاع شأن سلطنته، سياسيا وعسكريا واقتصاديا، في منطقة الخليج العربي وشبه الجزيرة العربية[١٤].

يضاف الى ذلك نجاحه الى حد كبير، في تحقيق الأمن على الطرق التي تسلكها قوافل الحج والتجارة مابين ساحل الخليج العربي والحجاز، عبر أراضي نجد، وان هذا الطريق أصبح يكتسب أهمية متزايدة خلال معظم القرن التاسع (الخامس عشر). بل والأكثر من ذلك فانه كان لوجود قافلة الجبور – والتي غالبا ما يقودها الشيخ أجود شخصيا أو أحد أفراد أسرته – في معظم مواسم الحج أثر يذكر في المساعدة على حفظ الأمن في الحجاز[١٥].

ومن هنا فقد طارت شهرة الشيخ أجود، وذاع صيته، وعمت مهابته، وأضفى عليه معاصروه النعوت والألقاب الكثيرة، التي تشعر بشيء من التبجيل كتلقيبه بـ «سلطان البحرين والقطيف والحسا، ورئيس أهل نجد»[١٦].

والذي نخلص اليه مما تقدم أنه ليس بمستغرب أن نرى سعي سلطنة البهمنيين لاقامة علاقات صداقة متبادلة مع سلطنة الجبور، وهي المعنية بتنمية وتوسيع علاقاتها التجارية، مع منطقة الخليج والجزيرة العربية، وأن تعبر رسالة الخواجه جهان عن ذلك، كما سوف نرى[١٧].

— ٣ —

ان رسالة الوزير خواجه جهان الى الشيخ بن زامل، التي نحن بصدد تحليل محتواها، لا تحمل تاريخا محددا. الا أن المؤرخ الفرنسي جان أوبان Aubin يفترض أن الرسالة قد كتبت بيد عبد الكريم النيمدهي خلال سنوات خدمته للوزير المذكور، والتي سبق أن قلنا، أنها قد امتدت ثماني سنوات(١٨).

وحيث أن أوبان لم يشر الى دليل على فرضيته هذه، فلابد أنه قد ذهب هذا المذهب نظرا الى أن هذه الرسالة كانت موجودة ضمن مجموعة رسائل خواجه جهان التي جمعها النيمدهي في كتابه «كنز المعاني». واذا صح ماأشرنا اليه فان هذا لا يصح أن يقوم دليلا قاطعا يستند اليه. فالرسائل التي ضمها كتاب «كنز المعاني» لايجوز الافتراض أنها قد كتبت جميعها بيد عبدالكريم النيمدهي. فالكتاب قد أعده الكاتب كما يبدو كتعبير عن وفائه لسيده المقتول غدرا(١٩) ولكن يظهر كذلك قدرته البلاغية في الانشاء.

اضافة الى ذلك فان رسائل القتيل التي ضمها الكتاب، ربما يكون البعض منها قد كتب قبل دخول الكاتب في خدمته. كما يمكن أن نتصور أن رسائل خواجه جهان التي كتبها قبل التحاق النيمدهي بخدمته، بامكان الأخير الاطلاع عليها ومعرفة مكان وجودها على وجه مؤ د، فيختار مايشاء منها ليضمه لكتابه المذكور. ثم ان المتأمل في مجموع الر سائل التي ضمها كتاب «كنز المعاني»، يدرك بأنها مختارات من رسائل خو جه جهان وليست جميع رسائله، وان اختياره هذا العدد المعين منها يعود الى أ ا تختص بحكام بلاد ايران والخليج العربي والحجاز، وكان هذا الاختيار من عم ل عبد الكريم النيمدهي، لأنه من أبناء الخليج العربي، وقد قضى معظم حي ه يعمل فيه، ويهتم بكل مايتعلق بأحداثه(٢٠). هذا من جهة ومن الجهة الأخرى يعود الى الصور البلاغية والمهارة اللغوية التي تبرزها هذه الرسائل، وما تسمية الكتاب بكنز المعاني من الانشاء الا دليل على ذلك.

علاوة على ذلك أن عناوين بعض الرسائل نجدها تبدأ بـ «من قول المخدوم

الشهيد...» أو «من لسان المخدوم...» والمقصود في كل ذلك محمود القاواني. كما نجد منها مايبدأ بـ «من المؤلف باسم الحضرة السلطانية...»(٢١) وفي ذلك ما يؤيد ما ذهبنا اليه في عدم حتمية أن جميع الرسائل في «كنز المعاني» قد كتبها النيمدهي.

على أن عدم اطمئناننا الى قوة فرضية (أوبان) حول تاريخ الرسالة المرسلة للسلطان أجود، يقتضي منا طرح فرضية أخرى لتاريخ كتابتها.

والواقع فان ماورد في رسالة الوزير القاواني الى السلطان أجود الجبري من فقرة تشير الى تعرض سفينة بعض التجار من رعايا أجود، الى عملية قرصنة في عرض البحر، ولجوئهم الى بلاد البهمنيين في الهند وقد فقدوا كل شيء(٢٢). تصلح لأن نتأمل فيها للوصول الى تاريخ تقريبي لهذه الرسالة.

ان عملية القرصنة هذه لابد أن تكون قد وقعت في المياه القريبة من سواحل البهمنّيين أي في خليج كمبايا بالذات، الذي تطل عليه موانيء سلطنتي الكوجرات والبهمنيين، حيث لابد أن يكون رعايا أجود قد لجأوا الى أقرب ميناء اليهم. أن مثل هذه القرصنة تعتبر تهديدا مباشرا وخطيرا للتجارة الخارجية للسلطنتين المذكورتين، وكان لابد من اتخاذ الاجراءات الرادعة لها.

وبمراجعة سريعة لتاريخ السلطنتين المذكورتين في تلك الفترة نجد أن أهم الحروب الخارجية الكبيرة التي خاضها البهمنيون في تاريخهم، وشارك في جزء منها الكوجراتيون هي تلك التي حدثت ما بين عام ٨٧٤ (١٤٧٠) و ٨٧٧ (١٤٧٣). وكانت هناك حملات برية وبحرية، موجهة ضد دولة وجيانكر Vijayanagar الهندوسية، وضد نشاط القراصنة في خليج كمبايا.

ولقد تحقق للبهمنيين خلال ذلك نجاحات عسكرية واقتصادية كبيرة في البر والبحر، كان من أبرزها استيلاؤهم على ميناء غوا Goa الهام على ساحل مليبار، والذي يحتمل أن يكون آنذاك من قواعد القراصنة الذين يمارسون

نشاطهم في خليج كمبايا ضد السفن المتجهة الى موانيء الكجوراتيين والبهمنيين. وكان محمود القاواني يقود هذه السفينة بنفسه، وقد استقبل بعد عودته منها بحفاوة كبيرة[٢٣].

ولعل مما يؤيد أن عملية القرصنة التي كانت تحدث في خليج كمبايا هي من عمل الهندوس، هو ماذكرته المصادر البرتغالية من أن راجات وجيانكر الهندوسيين قد عاودا نشاطهما بعد وفاة خواجه جهان بقليل، وتمكنا من انتزاع جزء من ساحل مليبار من المسلمين عام ١٤٧٩ (٨٨٤). وأعقب ذلك تجدد نشاط القراصنة ضد سفن المسلمين حيث كانوا يأخذون حمولة السفن ويعفون عن ركابها. كما تضيف المصادر البرتغالية بأن هؤلاء القراصنة قد تعاونوا مع البرتغاليين، حين ظهورهم لأول مرة أمام سواحل الهند الغربية، ضد المسلمين خصوصا في الاشتراك معا في مهاجمة ميناء غوا[٢٤].

والخلاصة، يمكننا أن نفترض أن الهجوم على سفينة رعايا السلطان أجود، وقع قبيل قيام الوزير محمود قاواني بحملاته التأديبية ضد القراصنة في خليج كمبايا، بفترة قصيرة. اذ أننا لانجد في رسالة القاواني الى السلطان أجود مايشير الى هذه الحملات أو حتى الاعتزام القيام بها، وربما حدثت هذه التطورات بعد ارسال هذه الرسالة. ولذلك فان التاريخ الذي نقترحه لهذه الرسالة هو في حدود عام ٨٧٤ (١٤٧٠).

ان هذا التاريخ الذي افترضناه لهذه الرسالة، يدعونا الى الاعتقاد، بأن بداية تولي السلطان أجود بن زامل الجبري للحكم، كانت قبيل تاريخ ارسال الرسالة بقليل[٢٥].

— ٤ —

تقع الرسالة المشار اليها تحت عنوان «من قولْ المخدوم الشهيد الأكبر الى الشيخ أجود المعروف بابن جبر»[٢٦]. والمخدوم الشهيد، هو الوصف الذي

يطلقه الكاتب غالبا على سيده القتيل الوزير محمود القاواني، الشهير بخواجه جهان.

ان أول ما يلاحظ في رسالة القاواني، هو الألقاب والنعوت التي يستعملها في مخاطبته للشيخ أجود، فهو «الملك الأعظم الأكرم الأفخم الأقدم، مالك البر واليم.. ملك ملوك العرب، سلطان أجود...». ثم عبارات «... الجناب الأميري.. الملكي الكبيري...»(٢٧).

في الواقع، أن هذه النعوت والأوصاف التي استخدمها الوزير القاواني، يستبعد أن تكون قد أطلقت اعتباطا، بالرغم من أنها تنحو الى التفخيم والتعظيم، اذ نحن نعرف صيغ المخاطبات والمكاتبات، ونوع الألقاب والنعوت التي تستخدم فيها، لها أصولها وقواعدها التي أصبحت متعارفا عليها في دواوين المكاتبات منذ أواخر العصر العباسي، حتى اكتملت صورها في القرن الثامن (الرابع عشر). ولقد تحدث كل من: ابن فضل الله العمري (ت ٧٤٩ /١٣٤٨) والقلقشندي (ت ٨٢٨ /١٤١٨) اللذين سبق لهما أن شغلا مراكز كبيرة في دواوين الدولة المملوكية، عن صيغ المخاطبات وأصولها، ودرجاتها تبعا لمنزلة المخاطب ومكانته(٢٨). والذي يبدو لنا أن شكل المخاطبات الرسمية في تلك الفترة قد اتخذت صور ما نسميه اليوم «بأصول البروتوكول» المتعارف عليها، والتي يؤدي الخروج عليها الى بعض التعقيدات والاحراجات.

والخلاصة، فان صيغ الألقاب والنعوت التي استخدمها خواجه جهان في مخاطبة السلطان أجود بن زامل، هي من الأصول المتعارف عليها عند مخاطبة أمثاله، وهي تتناسب ومركزه كحاكم له نفوذ كبير في الجزيرة العربية والخليج. كما أنها لا تخلو من أوصاف حقيقية للمخاطب، والا تحولت الى نوع من أنواع السخرية المبطنة. بل يمكننا أيضا أن نفترض أن صيغة الألقاب أو بعضها، ربما كانت من وضع كتاب سلطنة الجبور أنفسهم. اذ نحن نعرف أن كثيرا من الحكام يتخذون لأنفسهم ألقابا خاصة بهم وتجري مخاطبتهم على أساسها.

ان الملاحظة الثانية، والتي تكمل الملاحظة الأولى، في هذه الرسالة، هي

الصفات الشخصية التي أطلقتها على أجود، فهو: «... حامي العرب والعجم، مبارز معارك الشجعان، كرار المصاف بالسيف والسنان، أعدل ملوك الأطراف والأقطار، أشجع ولاة الأزمان والأعصار، مفخر حجاج بيت الله الحرام، قدوة زوار النبي عليه السلام، ... لازال طرق البوادي ببدرقة(٢٩) تقويته مأمونة عن نزول الطوارق...». كما أن الرسالة قد ختمت بهذا الدعاء «... رب كما وفقته بحماية أهل المدر والوبر، اجعل طول عمره الى يوم المحشر...»(٣٠).

والذي يمكن أن نلاحظه على الأوصاف التي نعتت بها الرسالة السلطان أجود، من فروسية متميزة وشجاعة متناهية، ونجاح كبير في حماية الطرق والذين يسلكونها، اضافة الى السخاء الكبير والتدين الشديد وتقوى الله، أنها في الحقيقة أوصاف كرر معاصرو أجود بن زامل والعارفون به شخصيا ترديدها. فالسمهودي (ت ٩١١) وصف أجود بأنه «رئيس أهل نجد ورأسها، سلطان البحرين والقطيف، فريد الوصف والنعت، صلاحا وأفضالا، وحسن عقيدة، أبو الجود أجود بن زامل جبر، أيده الله وسدده»(٣١). كما أن السخاوي (ت ٩٠٢) قال عن أجود «... كان رئيس نجد ذا أتباع يزيدون على الوصف، مع فروسية، وقد تعددت في بدنه جراحات كثيرة.. وأقام الجمعة والجماعات وأكثر من الحج في اتباع كثيرين، يبلغون آلافا، مصاحبا للتصدق والبذل»(٣٢).

ان الخواجه جهان يعبر في رسالته هذه الى السلطان أجود عن رغبته في أن تكون هذه الرسالة فاتحة عهد من الصداقة والمحبة، وسببا لتبادل المراسلات بينهما. اذ قال: «... ثم الداعي الى توشيح أعناق الأحوال، بقلايد المقال، ان المحب وان ما تشرف بصحبة الجناب الأميري، وما تزين بملاقاة الملكي الكبيري.. يطمع من كرمه أن يسلك درر المهام في سلك الأعلام... ويفتح أبواب الموالاة بمفاتيح المكاتبات، ليوجب ذلك ازدياد صفاء النيات...»(٣٣).

والواقع أن الذي يفهم من الفقرات الأخيرة التي أوردناها سابقا، أن هذه الرسالة كانت أول اتصال رسمي تم بين الطرفين. لذا فانه يفترض أن تكون قد

كتبت بعد تولي السلطان أجود السلطة بفترة قصيرة. اذ يستبعد أن يقوم خواجه جهان بارسال هذه الرسالة لأجود بعد سنوات طويلة من توليه للسلطة، ثم ليعبر له عن الرغبة في اقامة علاقات صداقة متبادلة، وبخاصة وقد عرفنا سابقا بأن رجل الدولة البهمنية شديد الاهتمام بتوثيق الروابط مع منطقة الخليج العربي. فاذا كان افتراضنا هذا سليما، فانه يصح أن نتخذ من الفقرات المشار اليها دليلا آخر يؤيد ما افترضناه سابقا حول التاريخ الذي حررت فيه هذه الرسالة(٣٤).

على أن المبرر الظاهر من الرسالة التي دفعت بالخواجه جهان لكي يكتب الى السلطان أجود الجبري، كان لاخباره بتعرض سفينة تحمل تجارا من رعاياه الى عملية قرصنة في عرض البحر وبأنهم وصلوا الى بلاد البهمنيين، وقد فقدوا كل ماكانوا يحملونه، بما في ذلك الرسائل التي اعتادوا حملها معهم للتعريف بهويتهم، والتي كانت تماثل فيما تؤديه، جوازات السفر في وقتنا الحاضر. «... ينهي بين يدي الأميري أن أنفاره الجائين الى هذه الديار، ماكان معهم الكتاب والأخبار، لوقوع الواقعة عليهم في البحر العميق، وهو غلبة السارقة عليهم في أثناء الطريق...»(٣٥).

على أنه يفهم ضمنا من الفقرات السابقة وجود صلات تجارية ما بين شرقي الجزيرة العربية وسلطنة البهمنيين، وأن التجار العرب قد اعتادوا التردد على بلاد الدكن في الهند، وأن ما وقع لرعايا أجود من أضرار، والذي قد يكون قريبا من سواحل بلاد البهمنيين، لا يتحملون مسئوليته بشكل مباشر، وليس في الأمر من تواطؤ موجه ضدهم.

والذي يبدوا أن الحادثة نفسها خطيرة بحيث يخشى أن تثير غضب السلطان أجود، كما أنها في نفس الوقت تصلح لأن تتخذ سببا لفتح باب الحوار والمراسلات ما بين الطرفين، وبأن يرسل خواجه جهان بممثل عنه يحمل هذه الرسالة ليطمئن السلطان أجود مباشرة ويطلعه على ملابسات الحادثة. «... ولما توجه حامل الصحيفة، الى جانب الجناب الملكي، وكان المقصود تروية

حديقة المحبة الأزلية، ما أطنب المقال واختصر بشرح الحال...»(٣٦).

بقى أن نقول ان الرسالة قد ختمت بكلمتين يحسن عدم تجاهلهما وهما «محمد وحيدر»، وذلك كجزء من الدعاء لأجود. ان وجود هاتين الكلمتين يوحي بأن كاتبها متشيع. والواقع أن ما نعرفه عن سكان جيلان، والذي منهم خواجه جهان، هم سُنيّو المذهب، وكان ذلك أحد أسباب تعاطفهم مع الدولة العثمانية وتعاطفها معهم أيضا خلال الصراع الذي دار مع الدولة الصفوية في ايران، وهي على المذهب الشيعي، وذلك طوال القرن العاشر (السادس عشر). كما أنه يفهم من عبارات المؤرخ المكي ابن فهد، أن الشيخ محمد قاواني، وهو ابن أخ محمود قاواني – خواجه جهان– كان من الشخصيات البارزة في المجتمع المكي في عصر ابن فهد(٣٧)، وعليه يمكن أن نتساءل هل أن الخواجه قد تشيع بعد ذلك، أما أن هاتين الكلمتين قد أضافهما الناسخ، وهو الحسين بن أحمد الكربلائي؟(٣٨) خاصة وأن الفقرات الأخيرة من الرسالة، تستقيم معنى وسجعا من دون ضرورة لهاتين الكلمتين.

– ٥ –

هناك تساؤلات من المفيد مناقشتها، وهي الى أي مدى تطورت العلاقات بين السلطتين بعد هذه الرسالة، وما هو رد السلطان أجود الجبري عليها؟.

في الحقيقة أنه على الرغم من عدم وجود أدلة بين أيدينا على استمرار تبادل الرسائل بين الطرفين، الا أنه ليس هناك ما يحول دون الافتراض بأن العلاقات بينهما قد استمرت جيدة. اذ أنه على الرغم من الروابط الوثيقة التي تربط ما بين البهمنيين والهرموزيين، فاننا لا نملك دليلا يؤيد وقوف البهمنيين الى جانب الهرموزيين في صراعهم الطويل مع الجبور في الخليج العربي(٣٩).

والواقع فان مقياس حسن العلاقة ما بين الدول في تلك العصور، هو عدم تعرض رعاياهم – خاصة التجار منهم – الى أي نوع من أنواع المضايقات في

بلد ما، سواء خلال مرورهم به أو عند اقامتهم فترة فيه. وعلى هذا الأساس فاننا لم نعثر على شكوى، من أي نوع، صادرة من طرف ضد الطرف الآخر، في حين أننا عثرنا على رسالة شكوى من الخواجه جهان، الى سلطان مصر المملوكي الأشرف قايتباي (٨٧٢ /١٤٦٨ – ٩٠١ /١٤٩٦). والرسالة تصف ما يلاقيه التجار الواصلون الى جدة، من مظالم على يد قراجا مباشر جدة(٤٠)، حيث جاء فيها «... ان السفن والمراكب الحجازية(٤١)، اذا وصلت من الجدة الى بنادر الهند في هذه الحجة، روى ثقاة رواكبها، حديث تلاطم الجور والعدوان، وحكوا عن تصادم طوفان الخسران، شاكين عن تعدي قراجه، وتطاوله، باكين عن افراط ظلمه وتوغله، بحيث لم يبق أحدا من المسلمين الاوقد نهب أمواله، وما ورد عليه أحدا(٤٢) الا وقد شوش أحواله...». ثم يضيف خواجه جهان مهددا السلطان المملوكي بمقاطعة التجار لميناء جدة، اذ قال «... ومن أجل ذلك قد تقر طباع المترددين في هذه السنة عن الورود بتلك الأمكنة...»(٤٣).

على أنه من المعروف جشع سلاطين المماليك عموما، وأنهم قد شددوا قبضتهم خلال القرن التاسع (الخامس عشر) على واردات الحجاز عامة وعلى جمارك جدة خاصة، وأرهقوا التجار القادمين اليها بالضرائب الباهظة، بل واحتكروا لأنفسهم حق شراء بعض السلع الهندية المعينة من هؤلاء التجار بأسعار واطئة، ومن ثم يقومون ببيعها للتجار الايطاليين بأسعار مرتفعة محققين بذلك لأنفسهم أرباحا طائلة، غير آبهين بنتائج سياستهم الضارة. ويتجلى ذلك واضحا في سياسة كل من برسباي (٨٢٥ /١٤٢٢ – ٨٤١ /١٤٣٧) وقايتباي (٨٧٢ /١٤٦٨ – ٩٠١ /١٤٩٦). واذا ما عرفنا بأن بعض التجار يضطرون في أحايين الى دفع الرسوم على بضائعهم، مرة في عدن وأخرى في جدة اضافة الى بعض نقاط المرور الأخرى، أدركنا مدى الحيف الذي كان يصيبهم(٤٤).

والسؤال المطروح هو، هل لجأ بعض التجار الذين يأتون بسلعهم من الهند، وخاصة من كمبايا، وفي هذه الفترة بالذات، الى تحاشي سلوك طريق البحر الأحمر للأسباب المذكرة آنفا، اضافة الى أسباب تتعلق باتجاهات الرياح

في البحر الأحمر والتي لا تكون مساعدة لدخولهم اليه في بعض الفصول، للوصول الى جدة في موسم الحج؟. أو بكلمة أخرى هل اتجه هؤلاء التجار الى استخدام موانيء الخليج العربي، ومن بينها موانيء بلاد بني جبر، عوضا عن موانيء البحر الأحمر؟.

للاجابة عن ذلك، نقول ابتداء، أن الخليج العربي كان خلال هذه الفترة، مثلما كان قبلها وبعدها طريقا تجاريا هاما، تدخله السفن القادمة من المحيط الهندي والبحر العربي، وبشكل خاص في شهري تموز وآب (يوليو وأغسطس) لتفرغ حمولتها في موانئه لتخرج منه وهي محملة بالتمور والسلع الأخرى. واستكمالا لدورة الخطوط التجارية، فان القوافل البرية تقوم بنقل هذه السلع الى مناطق مختلفة، خاصة الى بلاد الشام والأنضول، حيث تنطلق هذه القوافل اما من موانيء الساحل الايراني لتجتاز الهضبة الايرانية لتتخذ عدة مسارات وصولا الى المناطق المشار اليها أعلاه، أو أن القوافل تنطلق من البصرة لتسير بمحاذاة وادي الفرات من جهة الصحراء لتواصل سيرها الى الشام أو تنحرف شمالا لتدخل الأنضول.

وتشير الأبحاث الحديثة الى أنه خلال الفترة المشار اليها، كانت المنتجات الهندية تتوفر بكثرة في أسواق بورصة في تركيا وفي بعض مدن الشام، آتية عن طريق الخليج العربي(٤٥).

أما فيما يتعلق بتجارة البهمنيين، والذي يهمنا هنا التحري عنها، فان بين أيدينا رسالتين مرسلتين من الخواجه جهان الى المولى محسن المشعشعي حاكم عربستان والبصرة، يوصي فيها الأخير بحسن معاملة اثنين من وكلائه يحملان هذه الرسائل، وذلك في أثناء وصولهما الى البصرة للتجارة(٤٦).

كما أن سجلات قاضي بورصة للسنوات من ٨٨٤ (١٤٧٩) الى ٨٨٦ (١٤٨١) تشير الى وجود وكلاء لخواجه جهان يمارسون فيها التجارة بالسلع الهندية، كانوا يصلون اليها بسلعهم عبر بلاد العرب(٤٧). ولما كانت الجهة التي

اجتازوها من بلاد العربي غير معروفة، فمن الصعب الافتراض بأنهم أو غيرهم من التجار الهنود، كانوا قد استخدموا موانيء شرقي الجزيرة العربية الى الحجاز ومن ثم التوجه الى تلك الجهات عبر بلاد الشام، وذلك عن طريق مرافقة قافلة الجبور التي تتحرك من القطيف والأحساء كل سنة تقريبا قبيل موسم الحج وينضم اليها أناس كثيرون من البصرة وجنوب ايران وهم يحملون سلع تلك الجهات اضافة الى السلع الهندية ليجتازوا نجدا الى المدينة أولا ومن ثم الى مكة(٤٨).

ومهما يكن من أمر فان سعة نفوذ السلطان أجود الجبري في الخليج والجزيرة العربية مما لا يمكن للرجل الأول في الدولة البهمنية خواجه جهان، أن يتجاهله أو يستغنى عن مساعدته أحيانا، وهو الحريص على توسيع نشاطه التجاري والمحافظة عليه في هذه المنطقة.

كما أن السلطان أجود هو الآخر سوف يكون بالتأكيد حريصا على التجاوب مع الرغبة الصادرة من الخواجه جهان، بمد جسور من الصداقة والتعاون بينهما. وعليه فليس من المبالغة أن نتصور قيام علاقات وثيقة بين الطرفين.

— ٦ —

بعد أن أتينا على آخر ما أردنا أن نقوله بخصوص رسالة خواجه جهان الى السلطان أجود والظروف المحيطة بها قبل وبعد. نحب أن نلفت الانتباه الى أن هذه الدراسة لم يقصد منها القاء أضواء جديدة على سلطنة الجبور وما كانت تحتله من مكانة وأهمية في عهد سلطانها أجود، فحسب، وانما قد قصد منها أيضا تحفيز المهتمين بتاريخ جزيرة العربي الى توسيع دائرة البحث والتحري عن المصادر، نظرا للاحتمالات المتوفرة في العثور على ما قد يساعد في الكشف عن بعض من جوانب تاريخها، في بعض الفترات على الأقل.

واستكمالا للفائدة التي دبج من أجلها البحث، نثبت فيما يلي، نص

رسالة خواجه جهان الى الشيخ أجود بن زامل الجبري العامري، وهو المعروف ومن أعقبه من سلاطين الجبور، بـ «ابن جبر».

«من قول المخدوم الشهيد الأكبر الى الشيخ أجود المعروف بابن جبر»(٤٩)

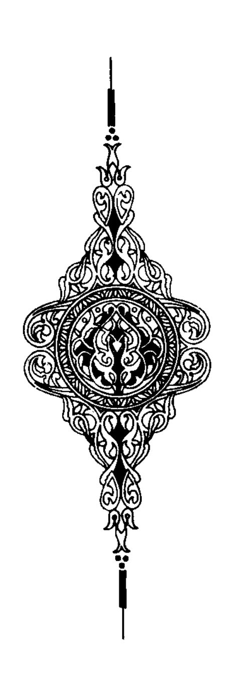
بعد حمد الله والصلاة على نبيه، فشرايف التسليمات الطيبات، ونفاس التحيات الزاكيات، على الملك الأعظم الأكرم الأمير الأفخم الأقدم، مالك البر واليم، حامي العرب والعجم، مبارز معارك الشجعان، كرار المصاف(٥٠)، بالسيف والسنان، أعدل ملوك الأطراف والأقطار، أشجع ولاة الأزمان والأعصار، مفتخر حجاج بيت الله الحرام، قدوة زوار النبي عليه السلام، المخصوص بعواطف العلي الصمد، ملك ملوك العرب، سلطان أجود، لازال طرق البوادي ببدرقة(٥١) تقويته مأمونة عن نزول الطوارق، وثواقب مناقبه لامعة عن آفاق السنة الخلايق. وأما جواهر الصبابة والاشتياق وفرايد الغرام والأشواق، فقد كثرت بحيث لا يفي بحوايتها دروج المجاز والاستعارات، ولا يكفي باحاطتها أصداف التراكيب والعبارات.

بيت :

الشوق أكثر أن يختص جارحة   كلي اليك على الحالات مشتاق

المسؤول من كرم واهب المأمول، أن يرفع نقاب التوقف عن مخدرات الالتقاء، فانه تعالى قادر على ما يشاء، ثم الداعي الى توشيح أعناق الأحوال بقلايد المقال، ان المحب وان ما تشرف بصحبة الجناب الأميري، وما تزين بملاقاة الملكي الكبيري، لكن فص فؤاده مركوز في خاتم محبته وغواص جناته، سباح في بحر مودته، يطمع من كرمه أن يسلك درر المهام في سلك الاعلام، لينصب على عايقة لواء الاتمام ويفتح أبواب الموالاة بمفاتيح المكاتبات، ليوجب ذلك ازدياد صفاء النيات وينهي بين يدي الأميري أن أنفاره الجائين الى هذه الديار ماكان

معهم الكتاب والأخبار، لوقوع الواقعة عليهم في البحر العميق، وهو غلبة السارقة عليهم في أثناء الطريق. ولما توجه حامل الصحيفة الى جانب الجناب الملكي، وكان المقصود تروية حديقة المحبة الأزلية ماأطنب المقال واختصر الحال، وختم بدعاء حصول الآمال. ربِّ كما وفقته بحماية أهل المدر والوبر، اجعل طول عمره الى يوم الحشر، بمحمد وحيدر.



التعليقات والحواشي

(١) وفاء، لابد أن نشير هنا الى أن جهودا شخصية ورسمية قد بذلت في العقدين الأخيرين، ولازالت تبذل في الكشف عن المصادر المختلفة لتاريخ الجزيرة العربية، ممثلة في الجهود القيمة للشيخ حمد الجاسر، سواء بما نشره من كتب أو من خلال مجلته «العرب» التي لها نهجها وأسلوبها المميز، بحيث يمكن اعتبارها مدرسة قائمة بذاتها، حرية بالدراسة. كذلك بما بذلته دارة الملك عبد العزيز، منذ انشائها، سواء بسعيها في جمع كل ما يمت بصلة الى تاريخ الجزيرة العربية، أو من خلال ندواتها ومجلتها «الدارة».

وهنا لابد أن نذكر جهود قسم التاريخ والآثار في جامعة الرياض، الذي أدرك أولوية الجهد في الكشف عن مصادر تاريخ الجزيرة، فجعل موضوع ندوته الأولى التي عقدت في الرياض في ربيع ١٣٩٧ /١٩٧٧م هو «مصادر تاريخ الجزيرة العربية».

(٢) لمزيد من التفصيل عن امارة الجبور عامة وحياة الشيخ أجود خاصة، يمكن الرجوع الى بحثنا «التاريخ السياسي لامارة الجبور في نجد وشرق الجزيرة العربية، ٨٢٠ /١٤١٧ – ٩٣١ /١٥٢٥ «مجلة كلية الآداب، جامعة البصرة جـ١٦ (١٩٨٠م) ٣١ – ١٠٩. هذا وسوف يتم تنقيح هذا البحث على ضوء نصوص جديدة.

(٣) لا نعرف بالضبط تاريخ وفاة الشيخ أجود الا أنه من المرجح أنه قد توفى بعد عام ٩٠١ بفترة لا تتجاوز بكثير السنة الواحدة.

(٤) حول تاريخ الدولة البهمنية، يمكن الرجوع الى البحث المكثف عنها في الطبعة الجديدة لدائرة المعارف الاسلامية H.K. Sherwani, Art, «Bahmanis,EI2»

(٥) حول سيرة محمود قاوان (خواجه جهان) يمكن الرجوع الى الطبعة القديمة من المصدر السابق، قاوان، T.W. Haig, art, «Mahmud Gawan», EI

(٦) J. Aubin, «Les relations diplomatiques entre les Aq-qoyunlu et les Bahmanides», in Iran and Islam, (ed). C.E. Bosworth, Edinburgh, 1971, pp. 11 - 15.

(٧) H - Inalcik, Burşa and the Commerce of the Levant Journal of the Economic and Social History of the Orient, vol - 111, 1960. pp. 130 - 147. esp. 141.

(٨) راجع عبد الكريم بن محمد النيمدهي، كنز المعاني من الانشاء، مخطوطة في مكتبة رئيس الكتاب مصطفى أفندي، اسطنبول (المكتبة السليمانية، رقم ٨٨٤، والمخطوطة هذه قد كتبت في دمشق عام ٩٩٦ (١٥٨٨) بخط الحسين بن أحمد الكربلائي.

(٩) Inalcik, Bursa.

(١٠) راجع كنز المعاني.

(١١) عبد العزيز بن عمرو بن فهد (ت ٩٢٢) «بلوغ القرى في ذيل اتحاف الورى بأخبار أم القرى، مخطوطة في مكتبة الحرم المكي بدون رقم، «تاريخ دهلوي» وهي مصورة في مكتبة جامعة الرياض (في حوادث ذي الحجة ٨٨٦).

(١٢) راجع كنز المعاني.

(١٣) لقد سبق أن ناقشنا في بحثنا «التاريخ السياسي لامارة الجبور» الذي أشرنا اليه سابقا، الأدلة التي تحدد لنا بداية حكم السلطان أجود وخرجنا بنتيجة، وهي انها كانت في حدود عام ٨٧٥ / ١٤٧١. الا أننا على ضوء رسالة خواجه جهان فاننا أخذنا نميل الى القول بأنها كانت قبيل عام ٨٧٤ (١٤٧٠) بقليل. هذا وسوف ترد في الصفحة (٧) الأسباب التي دعتنا الى ذلك.

(١٤) من أجل الاطلاع على تفاصيل ذلك، راجع الحميدان، التاريخ السياسي لامارة الجبور، ٤٧ - ٦١.

(١٥) حول قوافل الجبور، راجع، عمر بن فهد (ت ٨٨٥) اتحاف الورى بأخبار أم القرى، رقم المخطوط بدون، «تاريخ دهلوي»، مكتبة الحرم المكي. ومنه نسخة مصورة في مكتبة جامعة الرياض. حوادث ٨٧٦. كذلك راجع عبد العزيز بن عمر بن فهد، المصدر السابق، حوادث ٨٨٨، ٨٩٣، ٩٠١، ٩١٠، ٩١١، ٩٢١. أيضا راجع بحثنا السابق «التاريخ السياسي لإمارة الجبور.

(١٦) السمهودي (ت ٩١١ /١٥٠٦) وفاء الوفا (القاهرة ١٩٥٥) جـ٣ /١٠٩٣. السخاوي (ت ٩٠٢ /١٤٩٧)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (منشورات مكتبة الحياة، بيروت ب.ت.) ١ / ١٩٠ كذلك راجع الحميدان، المصدر السابق، ٥٠.

(١٧) لابد لنا أن نذكر هنا فضل البروفسور جان أوبان، لأنه الوحيد الذي أشار الى وجود هذه الرسالة ضمن مخطوطه «كنز المعاني» فدفعنا ذلك الى الحصول على نص هذه الرسالة. الا أنه قد التبس عليه عندما ذكر بأن هذه المخطوطة موجودة ضمن مجموعة مكتبة عاشير أفندي، والصحيح هو ما ذكرناه من أنها ضمن مكتبة رئيس الكتاب مصطفى أفندي، كما يثبت ذلك فهرس المكتبة المذكورة ضمن مكتبة السليمانية باسطنبول وأكد ذلك أيضا مسؤول المكتبة المذكورة.

(١٨) Aubin, Le Royaume D, Ormuz au début du xvl Siecle'' in Mare Luso - Indicum, (Jneve 1973) 11 - 77 - 179, esp. 124, note. 292.

(١٩) حول التهمة التي لفقها خصوم خواجه جهان وظروف قتله، راجع El, Mahmud Gawan. كذلك راجع ابن فهد، بلوغ القرى (في حوادث ذي الحجة ٨٨٦).

(٢٠) لمن يريد التعرف على حياة النيمدهي وآثاره، يمكنه الرجوع الى Aubin La vie et L'auvte de Nimdihi, Revue des Etudes Islamiques, 34, (1977), 61 - 81.

ويبدو أن عبد الكريم النيمدهي أراد أن يحاكي في عنوان كتابه الكتاب الذي كان قد ألفه محمود قاوان (خواجه جهان) المسمى «رياض الانشاء» الذي نشره شيخ جاند في حيدر أباد عام ١٩٤٨. والكتاب المذكور يعتبر مصدرا مفيدا لحياة ونشاط القاواني.

(٢١) راجع حول ذلك عناوين الرسائل المختلفة في «كنز المعاني».

(٢٢) كنز المعاني، ورقة ٢٠٤.

(٢٣) راجع دائرة المعارف الاسلامية الطبعة القديمة، مادة «محمود قاوان». وقد مر الاشارة الى ذلك. وكذلك Iqtidar Alam Khan, Early use of Cannon and Musket in India, Journal of the Economic and Social of the Orient, vol - xxlv, Part 11, 1981. 146-63, esp. 62-3.

(٢٤) The Book of Duarte Barbosa, Translated from the Portuguese text by M. Longworth Dames, vol. 1, reprint in W-G, Wiesbaden, 1967, 186 (Issued by the Hakluyt Society, 2nd series, no 44).

(٢٥) راجع الحاشية رقم (١٣).

(٢٦) كنز المعاني، ورقة ٢٠٣أ.

(٢٧) المصدر السابق، ورقة ٢٠٣أ – ٢٠٤أ.

(٢٨) العمري : التعريف بالمصطلح الشريف، القاهرة، ١٣١٢.

القلقشندي : صبح الأعشى، القاهرة، ١٩١٥، جـ٥ /٤٤٧ – ٤٨، ٧ /٣٧٠ – ٧١.

(٢٩) البدرقة أو البذرقة هي الخفارة، المبذرق هو الخفير، وهنا تعني خفارة القوافل الصحراوية. راجع الفيروزابادي، القاموس المحيط، فصل الباء، باب القاف. الزبيدي، تاج العروس، فصل الباء من باب القاف.

(٣٠) كنز المعاني، ورقة ٢٠٣أ - ٢٠٤أ.
(٣١) وفاء الوفا، ٣ /١٠٩٣.
(٣٢) الضوء اللامع، ١ /١٩٠.
(٣٣) كنز المعاني، ٢٠٣ب.
(٣٤) راجع الصفحة (٧) من هذا البحث وكذلك الحاشية (١٣).
(٣٥) كنز المعاني، ورقة ٢٠٣أ - ٢٠٤أ.
(٣٦) المصدر السابق ورقة ٢٠٤أ.
(٣٧) راجع، بلوغ القرى (حوادث ذي الحجة ٨٨٦).
(٣٨) كنز المعاني ورقة ٢٠٧أ.
(٣٩) حول الصراع بين الجبور ومملكة هرموز راجع بحثنا السابق، ٤٧ - ٥٣.

(٤٠) لم يرد في الرسالة تاريخ محدد ولا ذكر للأشرف قايتباي، وانما عرفنا تاريخ الرسالة التقريبي من ورود اسم قراجا الذي كان ناظرا على جده من أواخر ٨٨١ الى أوائل ٨٨٣. راجع، اتحاف الورى، حوادث السنوات المشار اليها. وكذلك الضوء اللامع، ٦ /٢١٥.

(٤١) يقصد هنا بالمراكب الحجازية أي تلك التي تتردد على الحجاز، في حين أن العرب يطلقون على السفن التي تتردد عادة على موانيء الهند بالمراكب الهندية، وليس من علاقة بين هذين التعبيرين ومن يملكها.

(٤٢) هكذا وردت في النص والصحيح أحد.

(٤٣) كنز المعاني ورقة ٢٠٢ب - ٢٠٣أ.

ملك٦

(٤٤) راجع ابن فهد، اتحاف الورى...، حوادث السنوات ٨٢٨، ٨٣٤، ٨٣٨، ٨٨١. بلوغ القرى...، ٩٠٢، ٩١١. كذلك راجع د. صبحي لبيب. التجارة الكارمية وتجارة مصر في العصور الوسطى، المجلة التاريخية المصرية (١٩٥٢) ٤ /٢ ص ٥ - ٦٣. كذلك محمد أمين صالح، تجارة البحر الأحمر في عصر المماليك الجراكسة، الدارة، العـــدد ٢ /الســـنة السادسة (١٤٠١ /١٩٨١م) ص ١٢٦ - ١٤٦.

Frederic C. Lane, Pepper Prices Before Da Gama, Journal of Economic History, vol, 28 (1968) pp 590 - 97.

A-H- Lybyer, the Ottoman Turks and the Routes of Oriental (٤٥)
Trade, the English Historical Review, No. Cxx, oct, 1915, 577 - 88, esp. 581 - 83; E-C-Lane, Ibid; Inalcik, op. Cit.

E. Ashtor, Spice Price in the Near East in the 15th Century, J- of the Royal Asiatic Society, No. 1 1976. 26-14.

هذا ويذكر ابن طولون بأنه في ربيع الآخر سنة ٨٨٥ يوليو / تموز ٤٨٠ تعرضت قافلة تجارية كانت تضم ثلاثة آلاف جمل متجهة من العراق الى الشام على الطريق الصحراوي ونهب ما فيها من بضائع. ان الاشارة لتؤكد أيضا استمرار سير القوافل التجارية ما بين العراق وبلاد الشام، ان لم تكن قد نشطت في هذه الفترة، وقد ورد في هذا النص ذكر لعلاقة تربط ابن جبر (أجود بن زامل) بأحد رواد القافلة، الأمر الذي يفهم منه بأن الجبور ربما قد ساهموا في هذه القافلة.

راجع محمد بن طولون، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، تحقيق محمد مصطفى، القسم الأول / القاهرة ١٣٨١ /١٩٦٢، ١٨.

(٤٦) كنز المعاني، ورقة ٢٠٤أ – ٢٠٧أ.

(٤٧) Inalcik, Op. Cit, 141.

(٤٨) حول قوافل الجبور راجع الحاشية (١٥). ويقتضي منا أن نشير هنا الى أنه لدينا الدليل على أن بعض القادمين من السواحل الغربية للهند يأتون الى الحجاز عن طريق شرق الجزيرة العربية وذلك عندما لا تكون الظروف ملائمة عن طريق البحر الأحمر. فابن فهد يذكر انه بعد انتصار الأسطول المملوكي بقيادة حسن الكردي في معاركه الأولى أمام الاسطول البرتغالي عاد بعض أفراد الجيش المصري عن طريق بلاد بني جبر، راجع بلوغ القرى حوادث جماد الأول عام ٩١٤.

(٤٩) يقع النص بأكمله في كنز المعاني «في الورقة ٢٠٣أ حتى ٢٠٤أ.

(٥٠) المصاف جمع مصف وهو موضع الصف، المراد هنا ذكره حين اصطفاف الجنود في القتال.

(٥١) بدرقة، سبق أن شرحنا معناها في الحاشية (٢٩) وهي تعني الخفارة.